الامراض والاوبئة التي انتشرت في البصرة خلال العهد العثماني وأهم الموسسات الصحية)

شهد العراق عموماً والبصرة خصوصا تدهورا في اوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية اذ تعرض الى أوبئة وأمراض ومجاعات وتخلف وجهل وفقر خلال العهد العثمانيةفضلا من الكوارث الطبيعية ما أدى الى انتشار أوبئة وأمراض متعددة مثل (الطاعون و الكوليرا والهيضة....الخ)ذهب ضحيتها الاف الاشخاص (١)

هناك العديد من الاسباب التي ادت الى تدهور الصحة في العراق عموما والبصرة خصوصا وقد أرتبطت بالحالة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعمرانية والثقافية للسكان .

يمكن ايجاز اهم الاسباب التي ادت الى تدهور الصحيفي البصرة من خلال العهد العثماني بمايلي

١)اتسمت الغالبية العظمى من المدن العراقية بقلة نيبورنظافتها،ناهيك عن كثرة البرك والمستنقعات التي لم تبذل السلطات العثمانية أية جهود ملموسة في ردمها (٢)حيث يصف نيبور ١٧٦٥ البصرة بانها اكثر مدينة اسلامية في القذارة وفقدان النظافة واكثر البيوت تصب المياه القذرة لمطابخها في الطرقات التي ليست معبدة بالحجارة (٣)

٢)الفقر والمجاعات نتيجة القحط الحاصل من قلة الامطار أوهجمات الجراد فضلا عن تخلف أساليب الزراعة ،فضلا عن عدم الاهتمام بالبيئةوحمايتها من التلوث مثل وجود المقابر والمذابح ومحلات الذبح داخل المدن وعدم توفر مياه صالحة للشرب وعدم وجود نظام لتصريف المياه الاسنة والثقيلة (٤)

٣)سوء الادارة وعدم الاستقرار الولاة وعدم الاهتمام بأحوال البلد وتعرض العراق للحروبالمتكررة والحصار ، وكثرة الانتفاضات العشائرية وظهور النزاعات الاستقلالية (٥) وكان أخر عهد للبصرة في الاستقرار والازدهار السكاني هو نهاية حكم أل فراسياب في النصف الثاني من القرن السابع عشر اذ توالت عليها المحن والاضطرابات فغزاها الفرس اكثر من مرة وشرد وا أهلها من ديار هم ثم تعرضها لهجمات القبائل التي تسكن اطراف المدينة وبالتالي البصرة رهينة أوضاعها السياسية والادارية فضلا عن العلاقات الخارجية ،والصراعات السياسية والاقليمية (٦)

٤_احتفظت البصرة بمكانتها الجغرافية والتجارية والعمرانية في منطقة الخليج العربي.وبتوسع حركة النقل البحري والنشاط التجاري وازدياد الوافدين على السفن الاجنبية ، تهيأت الاسباب لنقل الامراض الوبائية الى البصرة ، نتيجة زيادة عدد الوافدين وكثرة الحاللت المرضية بينهم جعلت بعض الامراض على سبيل المثال وباء الكوليرا لا يفارق البصرة (٧)

٥_ كذلك هناك عوامل اجتماعية ساعدت على انتقال الامراض السارية والوبائية ، مرور حجاج بيت الله الحرام بالعراق وزوار العتبات المقدسة ونقل الجنائز من ايران وبعض الدول

الاسلامية الاخرى لدفنها الى جوار العتبات المقدسة ، كذلك من اجل حصول سكان القرى على الوقود احتفظوا بروث الحيوانات على سطوح بيوتهم مما جعل البيوت بيئة صالحة لتولد الذباب والحشرات والديدان التي تساعد على امتشار والاصابة بالامراض (٨)

٦_ كذلك من العوامل الثقافية هو ضعف الوعي الصحي لدى السكان في الاجراءات التي تتخذ للوقاية من انتشار الامراض واعتمادهم في المعالجة على الجهلة والمشعوذين، فضلا عن تخلف التعليم وانتشار الجهل خصوصا عند البدو الذي اعتمدوا على التداوي بما يعرف (طب العرب) (٩)

٧_كذلك من العوامل الصحية التي ادت الى انتشار الامراض هو قلة الخدمات الصحية في اواخر الفترة العثمانية فكانت دون المستوى المطلوب فظهرت الامراض بين الناس نتيجة فقرهم وجهلهم (١٠)

٨_كما للعوامل دور العمرانية في انتشار الامراض حيث امتازت معظم مدن العراق باازدحام البيوت وضيق ازقتها وعدم نظافتها اذ كانت النظافة معدومه في شوارع المدن والحيوانات تعج في طرقها مما سبب تراكم الاوساخ في الشوارع.

٩_كما لعوامل المناخ سبب في ذلك، فالتباين الشديد في درجات الحرارة بين فصل الشتاء والصيف مما هيأ الارضية لانتشار العديد من الامراض (١١)

أهم الاوبئة والامراض التي انتشرت في البصرة خلال العهد العثماني

نتيجة للاسباب التي ذكرناها مجتمعة انتشرت الاوبئه والامراض التي كانت غالبا ما تؤدي الى هلاك الكثير من السكان ولاسيما في المدن المزدحمه وكان من اهم تلك الاوبئه والامراض هو

وباء الطاعون :

حدثت خلال العهد العثماني في العراق موجات كثيرة من وباء الطاعون (١٢) ويعد الطاعون من اقدم الامراض التي عرفها الانسان وقد تعرض العراق الى العديد من الممرات لهذا الوباء حسب ما تذكر المصادر ان اصل هذا المرض من منطقه التبت في الصين وعن طريق الهند وايران وبواسطه القوافل التجاريه والزوار ينتقل المرض الى العراق وقد اجتاحه الطاعون البصره عده مرات في العهد العثماني حتى اواخر القرن التاسع عشر ان الرعب الذي احدثه هذا المرض في نفوس الناس مع المئاسي التي خلفها كل ذلك كان بسبب سرعه انتشاره بين الناس لانه كان يفنى مناطق سكنيه باكمله فضلا عن ذلك انه اعراضه على المرض لا تستمر اكثر من يوم او يومين وغالبا ما تنتهي بهلاك المريض كما انه من النادر

جدا حصول الشفاء منه (١٣)ويذكر اهل البصرة ان هذا المرض ياتي كل تسعة عشر عاما. وكادت ان تخلو المدينة من سكانها سنة ١٦٩١ عندما زحف الطاعون عليها (١٤)

وقد تعرضت البصرة لسلسلة من أوبئة الطاعون التي فعلت فعلها في سكان البصرة خلال الاعوام في ١٧٠١ وطاعون ابو زوعه عام ١٨١١ وطاعون ابو ريبة عام ١٨٣١ وفي عام ١٨٧٥ (١٥)

الهيضة (الكوليرا)

تعد الكوليرا من الامراض المعدية الفتاكة وتصنف ضمن الامراض الواقدة حيث ان موطن المرض الاصلي هو الهند. وقد انطلقت الكوليرا من موطنها الاصلي مع بداية عصر السفن التجارية والقاطرات (١٦) فقد دخل وباء الكوليرا للعراق عن طريق الموانئ الموجودة في البصرة مع التجار والزوار والسياح من الهند وإيران والخليج العربي، وتعرضت البصرة لهذا الوباء عدة مرات خلال الاعوام (١٨٢٠ و١٨٦٥ و١٨٧١ و١٩١٦) وكانت ضحايا الوباء كبيرة بسبب عدم اتخاذ الدولة العثمانية اية اجراءات (١٧)

وباء الملاريا :

كان ينتشر في اعقاب الفيضانات التي كانتتحدث بين سنة واخرى. وان مرض الملاريا كان مستوطنا في البصرة الا انه انتشر وبشكل وبائي في سنة ١٨٧٦ (١٨)

اهم المؤسسات الصحيه في البصره خلال الاحتلال العثماني

ظهرت بوادر الاهتمام
بالصحه خلال العهد العثماني عندما تولى مدحت باشا عام 1869- 1872)ولايه بغداد وكانت البصره تابعه لها ومنذ عام 1838 اصدرت الدوله العثمانيه قانون تطبيق النظام الحجر الصحي الذي يلزم كل بلديه من بلديات مدن كل ولايه من ولايات الدوله ان تعين طبيبا او معاونا لمعاينة المرضى مرتين في الاسبوع مجانا وهو المسؤول على الصحه العامه في المدينه وعلى اثر ذلك قام (19)
مدحت باشا عند زيارته الى ولايه البصره في تاسيس دائره بلديه في عام 1869 حيث كانت الاحوال الصحيه في الولايه مترديه جدا و المستشفيات عباره عن ثكنات عسكريه تفتقر الى ابسط مقومات المستشفيات من الادويه والكادر وغيرها من الخدمات الصحيه وعند تاسيس دائره البلديه لتقديم الخدمات الصحيه الحق بها مستوصف مؤلف من شعب للخدمات الطبيه المعتمده على الادويه التي تستوردها التجاره من الخارج وكاله مستوصف البلديه يدار من قبل طبيب يقوم بعده مهام في ان واحد هو اداره المستشفى و القيام بحمله التفتيش في الاسواق وتنبيه عن المخالفات الصحيه (20)

وكان المستوصف يحتوي على عدد من الاطباء الاتراك منهم هو شرف الدين بن عارف حيث قام شرف الدين تنظيم صيدليه داخل المستوصف وزودها بالادويه المتوفره في سوق المدينه التي كانت تستوردها الاستانه من الهند وكانت تخلوا من الادويه والعقاقير اللازمه بسبب الاهمال ولحاجه الولايه للصيدليات انشئت الصيدليات الاهليه مثل عزيز افندي وغيرها (21) وبعد ذلك اصدرت التعليمات من اسطنبول على اثرها اجتمع الوجهاء والاعيان لجمع التبرعات وبناء مستشفى و دارعجزه في محله عز الدين فضلا عن ذلك هناك مستشفى بحريه عسكريه في منطقه الصالحيه التي اتخذت ايضا مركزللحجر الصحي وتم انشاء مستشفى الغرباء بعد ثلاثه اشهرواكتمل في 1872 وكان يضم 50 سرير ارضي مع عدد من الاقسام منها امراض الباطنيه وقسم الجراحه وجناح خاص للمساجين وكان العلاج فيها مجاني (22) وقد سعت الدوله العثمانيه في اواخر القرن التاسع عشر من اجل تفادي خطر الاوبئه والامراض الناتجه عن دخول الاجانب الى انشاء مراكز الحجر الصحي و تم انشاء اول مركز للحجر الصحي في الفاو 1073 واخرفي الصالحيه 1895لغرض مراقبه الوافدين من الحدود الايرانيه جنوب شرق البصره اذا كانت السفن التجاريه تتعرض للحجر الصحي لمده عشره ايام حيث يعزل ركابها في مراكز الحجر (23)

وخلال عام 1896 حجرت409 سفينه تجاريه لغرض الفحص والتاكد من سلامه الركاب والطاقم (24)

ان الاجراءات الحجرالتي بالغت فيها السلطات العثمانيه كانت احيانا تاخذ منحى سياسي تبعا للعلاقات بين الدوله العثمانيه والحكومات الاجنبيه وبالرغم من الضعف الحاصل بالاجراءات ولكنها عملت على الحد من انتشار الامراض لعده سنوات وفي نهايه العهد العثماني كان خدمات محدوده جدا لدرجه ان الاتراك عندما غادروا العراق لم يكن فيه سوى عشره اطباء وسته من الصيادله وبعض المستشفيات المتهالكه التي لا تزيد عن 50 سرير ولم تمنع من انتشارالطاعون من خلال 1875 ،1976، 1893 (25)

الهوامش_____

1)مجموعة مؤلفين،العراق في التاريخ ،بغداد،١٩٨٣،ص٥٨٦-٥٨٧.

٢)لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم ،الخدمات العامة في العراق ١٨٦٩-١٩١٨،اطروحة دكتوراة غير منشورة ،قدمت الى مجلس كلية الاداب في جامعة الموصل،٢٠٠٣،ص٣٧١.

٣)رحلة نيبور الكاملة الى العراق ،ترجمة سعاد هادي العمري ،مراجعة وتعليق وتقديم سالم الالوسي ،ط١،بغداد ،٢٠١٢،ص٤٦.

٤)علي كامل حمزة السرحان ،الاوبئة والامراض التي اجتاحت العراق في العهد العثماني وطرق الوقاية منها ،القادسية ،المجلد الخامس عشر ،العدد ٤، ٢٠١٥،ص٢٨٨-٢٨٩.

٥)نادية مسعود شريف الجراح ،الخدمات الصحيةفي الموصل في العهد الملكي (١٩٢١-١٩٥٨)،رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الموصل -كلية الادآب ،٢٠١٠،ص ٧.

٦)حسين محمد حسين القهواتي ،دور البصرة في الخليج العربي ١٨٦٩-١٩١٤ اطروحة دكتوراة مقدمة الى كلية الاداب ،جامعة بغداد ،١٩٧٨،ص٣١.

[٣/٢٤ ٢٣:٥ ص] الوالد اسيا: ٧) حسين محمد حسين القهواتي ، المصدر السابق ، ص ٣٦.

٨) جعفر عبد الدائم المنصور ، التاريخ الصحي لمدينة البصرة أواخر العهد العثماني حتى ١٩٣٩ ، لبنان ، ٢٠١٧ ، ص ٢٠.

٩) السرحان ، المصدر السابق ، ص ٢٨٩.

١٠) المنصور ، المصدر السابق ، ص ١٩.

١١) السرحان ، المصدر السابق ،ص٢٨٩.

١٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩٠.

١٣) المنصور ، المصدر السابق ، ص ١٠٨.

١٤) ناهدة حسين علي الاسدي ، البصرة في ظل الحكم العثماني دراسة في وصف البصرة وسكانها خلال القرن التاسع عشر ، مجلة كلية التربية الاساسية ، المجلد ٢٠ ، العدد ٨٢ ، ص ١٨.

١٥) حسن ثجيل عجيل النصار وعبد العظيم اسحق راضي ، البصرة ولاتها ومتسلوموها ومراقدها الدينية ، البصرة، ٢٠١٥ ، ص ٧٦_٩٤.

١٦)المنصور ، المصدر السابق ، ص ١١٠.

١٧) السرحان ، المصدر السابق ، ص ٣٠٢.

١٨) المصدر نفسه ، ص٣٠٣.

١٩) المنصور ، المصدر السابق ، ص ٥١_٥٢.

٢٠) المصدر نفسه ،ص ٥٢.

٢١) المصدر نفسه، ص٥٣.

٢٢) المصدر نفسه ، ص ٥٤.

٢٣) لمى عبد العزيز مصطفى ، مصدر السابق ، ص ٣٨٧.

٢٤) اداموف الكسندر ، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، ترجمة هاشم التكريتي ، البصرة ،١٩٨٢ ، ص ١٢٢.

٢٥) المنصور ، المصدر السابق ، ص ٥٤_٥٥.